المتون العلمية وأثرها في تنمية الملكة الفقهية وفق رؤية تطويرية

د٠ أحمدو محمدو أشريف المختار (*)

المقدمة :

الحمد لله الذي جعل العلم أربح المكاسب والمتاجر، وأشرف المعالي والمفاخر، وقدم به الأصاغر على الأكابر، والصلاة والسلام على المعلم الفاخر والمربي الباهر وعلى آله وصحبه الأكابر ومن اتبعهم بإحسان في جميع الأعاصر إلى اليوم الآخر.

وبعد فإن شريعة الإسلام خاتمة الشرائع الإلهية كلها؛ وهي صالحة لكل زمان ومكان، فهي تمتاز بقدرتها على تنظيم حياة الناس، واستيعاب الحوادث المتجددة، والإجابة على كل أسئلة العصر، وذلك بواسطة علم الفقه الذي هو من أجل العلوم وأعلاها شأنا وقدرا، وأكثرها أهمية للمسلم، فهو نبراسه المنير في عباداته وفي معاملاته، وفي جميع شؤون حياته، والحاجة ماسة إلى تعلمه وتعليمه ، ذلك أن النصوص محصورة والمستجدات غير محصورة لكثرة ما تحدثه يوميا الثورة الصناعية والتكنولوجية ، ولما كانت الملكة الفقهية هي أداة التفقه والفتوى وكانت المتون العلمية خير معين على اكتسابها اختار الباحث أن تكون ورقته البحثية هذه بعنوان "**المتون العلمية وأثرها في تنمية الملكة الفقهية وفق رؤية تطويرية** "

هيكل البحث :

(*) أستاذ متعاقد في جامعة العلوم الإسلامية بلعيون – موريتانيا (محاضر بمركز الأنوار وأكاديمية الشريعة) دولة الكويت.

مقدمة

ملخص البحث

المبحث الأول : التعريف بأهم بمفردات العنوان.

المطلب الأول: تعريف الأثر والمتون العليمة.

المطلب الثاني : تعريف التنمية والملكة الفقهية.

المبحث الثاني : المتون العلمية أهميتها وأثرها في الملكة الفقهية.

المطلب الأول : أهمية المتون العلمية.

المطلب الثاني : أثرها في الملكة الفقهية.

المبحث الثالث: رؤية تطويرية في التعاطي مع المتون العلمية.

المطلب الأول: واقع المتون العلمية في عصرنا.

المطلب الثاني: رؤية تطويرية للمتون العلمية.

الخاتمة

المصادر والمراجع

المبحث الأول

التعريف بمفردات العنوان

المطلب الأول : تعريف الأثر والمتون العليمة.

في هذا المطلب سنقوم بتعريف "الأثر ، ثم المتون العلمية.

أولا : تعريف الأثر:

الأَثر: بَقِيَّةُ الشَّيْءِ، وَالْجَمْعُ آثَارٌ وأُثور. وَخَرَجْتُ فِي إِثْره وَفِي أَثَره أَي : بَعْدَهُ. وأُتَتَرْتُهُ وتَأَثَّرْته: تَتَبَّعْتُ أَثره؛ عَنِ الْفَارِسِيِّ. وَيُقَالُ: آثَرَ كَذَا وَكَذَا بِكَذَا وَكَذَا أَي أَتْبَعه إِياه .

والأَثَرُ: سِمَة فِي بَاطِنِ خُفِّ الْبَعِيرِ يُقْتَفَرُ بِهَا أَثَرُه، وَالْجَمْعُ أُثور..

والأثر : الأجل ، وَفِي الْحَدِيثِ : مَنْ سَرّه أَن يَبْسُطَ اللهُ فِي رِزْقِهِ ويَنْسَأَ فِي أَثَرِه فَلْيَصِلْ رَحِمَه[1] ؛ وَسُمِّيَ بِهِ لأَنه يَتْبَعُ الْعُمْرَ؛ قَالَ زُهَيْرٌ:

والمرءُ مَا عَاشَ ممدودٌ لَهُ أَمَلٌ، ... لَا يَنْتَهي العمْرُ حَتَّى يَنْتَهِيَ الأَثَرُ

وأَصله مَنْ أَثَّرَ مَشْيُه فِي الأَرض، فإِنَّ مَنْ مَاتَ لَا يَبْقَى لَهُ أَثَرٌ وَلَا يُرى لأَقدامه فِي الأَرض أَثر؛ وَمِنْهُ قَوْلُهُ لِلَّذِي مَرَّ بَيْنَ يَدَيْهِ وَهُوَ يُصَلِّي: قَطَع صلاتَنا قَطَعَ اللَّهُ أَثره؛ دَعَا عَلَيْهِ بِالزَّمَانَةِ لأَنه إِذا زَمِنَ انْقَطَعَ مَشْيُهُ فَانْقَطَعَ أَثَرُه.

والأَثَر: الْخَبَرُ، وَالْجَمْعُ آثَارٌ. وَقَوْلُهُ عَزَّ وَجَلَّ: وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا وَآثَارَهُمْ [2]؛ أَي نَكْتُبُ مَا أَسلفوا مِنْ أَعمالهم وَنَكْتُبُ آثَارَهُمْ[3].

---

(١) أخرجه أحمد (٣/ ١٥٦)، وأبو نعيم في تاريخ أصبهان (٢/ ٢٤٤) كلاهما من طريق مسلم بن خالد، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ أبي حسين به. ومسلم بن خالد هو الزنجي، قال في التقريب (ص ٥٢٩): صدوق كثير الأوهام، «تقريب التهذيب» .

(٢) يس ، الآية ١٢.

(٣) لسان العرب (٤/ ٦).

الأثر في الاصطلاح:

وعلى ما تقدم؛ يمكن تعريف الأثر في الاصطلاح بأنه: " ما يتبع الشيء ويترتب عليه من النتائج والآثار سالبة أو موجبة".

ثانيا : تعريف المتون العلمية:

يطلق المتن في اللغة على عدة معان قال ابن منظور : (المَتْنُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ: مَا صَلُبَ ظَهْرُه، وَالْجَمْعُ مُتُون ومِتَانٌ؛ ومَتْنُ كُلِّ شَيْءٍ: مَا ظَهَرَ مِنْهُ. ومَتْنُ المَزادة: وجهُها البارزُ. والمَتْنُ: مَا ارْتَفَعَ مِنَ الأَرض واستوَى، وَقِيلَ: مَا ارْتَفَعَ وصَلُبَ، وَيُقَالُ: مَتْنُ الأَرض جَلَدُها. والمَتْنُ: الظَّهْرُ، يُذَكَّرُ وَيُؤَنَّثُ؛ عَنِ اللِّحْيَانِيِّ، وَالْجَمْعُ مُتونٌ، وَقِيلَ: المَتْنُ والمَتْنةُ لُغَتَانِ، يُذَكَّرُ وَيُؤَنَّثُ، لَحمتان مَعصُوبتان بَيْنَهُمَا صُلْبُ الظَّهْرِ مَعْلُوَّتان بعَقَب[1].

ومتن الحديث غاية ما ينتهي إليه الإسناد، ومتن اللغة أصولها ومفرداتها، ومتن الكتاب لفظه الذي يشرحه الشارح ويزيل غموضه[2] .

قال ابن فارس : "المِيمُ وَالتَّاءُ وَالنُّونُ أَصْلٌ صَحِيحٌ وَاحِدٌ يَدُلُّ عَلَى صَلَابَةٍ فِي الشَّيْءِ مَعَ امْتِدَادٍ وَطُولٍ".[3] وهذا ما يدل عليه المتن العلمي؛ إذ يعطي لصاحبه قوةً وتمكُّنًا من استحضار المعلومات وقت الحاجة أو السؤال.

والمتن العلمي في الاصطلاح: خلاف الشرح والحاشية، وهو عبارة عن "مختصر موجز اللفظ كثير المعنى يحوي قواعد ومسائل مهمة في العلم الذي ألف فيه".

---

(١) المرجع السابق (١٣/ ٣٩٨)

(٢) معجم اللغة العربية المعاصرة (٣/ ٢٠٦٥)

(٣) مقاييس اللغة (٥/ ٢٩٤)

وعادة ما يراد بكلمة "متن" تمييز الكتاب عن شرحه؛ فمثلًا يُقال: هذا من متن خليل وهذا من شرحه، والمتون موجودة من قديم الزمان؛ ولكنها لم تكن تعرف بهذا الاسم، بل كانت تعرف بالمختصرات كمختصر خليل، ومختصر ابن الحاجب.

والمقصود بالمتون العلمية عند الباحث مجموعة من المتون لخص فيها أصحابها علوم الآلة، وهذه المتون من أهمها:

في مجال النحو :

١- ألفية ابن مالك للعلامة جمال الدين محمد بن مالك.

٢- الكافية الشافية له أيضا.

وفي مجال الصرف :

١- لامية الأفعال للعلامة جمال الدين محمد بن مالك، مع زيادات العلامة الحسن بن زين الشنقيطي.

٢- شافية ابن الحاجب.

وفي مجال اللغة (المفردات):

١- المعلقات العشر.

٢- ديوان الشعراء الستة الجاهلين.

وفي مجال البلاغة:

١- تلخيص المفتاح للخطيب القزويني المتوفى ٧٣٩ هـ.

٢- عقود الجمان للعلامة عبد الرحمن بن أبي بكر جلال الدين السيوطي (المتوفى: ٩١١هـ) وهو نظم لتلخيص المفتاح تقريبا.

٣- الجوهر المكنون في صدف الثلاثة الفنون للشيخ عبد الرحمن الصغير الأخضري .

وفي مجال الأصول:

١- الكوكب الساطع للعلامة عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي.

٢- مراقي السعود لمبتغي الرقي والصعود للعلامة سيدي عبد الله بن الحاج بن إبراهيم العلوي الشنقيطي.

٣- مرتقى الوصول لابن عاصم.

وفي مجال مصطلح الحديث :

١- ألفية العلامة عبد الرحمن السيوطي في مصطلح الحديث.

٢- التبصرة والتذكرة في مصطلح الحديث (ألفية العراقي) للعلامة أبي الفضل زين الدين عبد الرحيم بن الحسين بن عبد الرحمن بن أبي بكر بن إبراهيم العراقي (المتوفى: ٨٠٦هـ) .

٣- نخبة الفكر في مصطلح أهل الأثر للعلامة أبي الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني (المتوفى: ٨٥٢هـ).

وفي مجال القواعد الفقهية:

أولا : على المذهب الحنفي:

١- تأسيس النظر لأبي زيد الدبوسي.

٢- نظم الأشباه والنظائر لعبد الله بن محمد حجازي المتوفى سنة١٠٩٦ هـ.

٣- غمز عيون البصائر شرح الأشباه والنظائر لأحمد بن محمد الحموي المتوفى سنة ١٨٩٠هـ.

٤- إبراز الضمائر، وهو حاشية على الأشباه والنظائر للأزميري المتوفى سنة ١١٦٥هـ .

ثانيا : على المذهب المالكي:

١- إيضاح المسالك إلى قواعد الإمام مالك، لأبي العباس الونشريسي المتوفى سنة ٩١٤ هـ.

٢- نظم المنهج المنتخب للعلامة علي بن القاسم التجيبي الشهير بالزقاق.

٣- تكميل ميارة الفاسي على القواعد الفقهية.

ثالثا : على المذهب الشافعي:

١- منظومة الفرائد البهية في القواعد الفقهية لأبي بكر التهامي الحسني المتوفى ١٠٣٥هـ.

٢- الأقمار المضية شرح القواعد الفقهية لضياء الدين الأهدل.

٣- الباهر في اختصار الأشباه والنظائر لأبي زيد المالكي المتوفى سنة ١٠٩٦هـ.

رابعا : على المذهب الحنبلي :

١- تقرير القواعد وتحرير الفوائد لأبي الفرج عبد الرحمن بن رجب المتوفى سنة ٧٩٥هـ

٢- القواعد الكلية والضوابط الفقهية لجمال الدين يوسف ابن الحسن الدمشقي المعروف بابن عبد الهادي المتوفى سنة ٩٠٩هـ

٣- القواعد والأصول الجامعة والفروق والتقاسيم البديعة النافعة لابن سعدي المتوفى سنة ١٣٧٦هـ.

هذه أمثلة للمتون العلمية التي إن اعتنى بها الطالب ثم تفقه على أي مذهب كانت له معينة على اكتساب الملكة الفقهية، وربما توصله إلى الاجتهاد .

المطلب الثاني : تعريف التنمية والملكة الفقهية:

في هذا المطلب سنقوم بتعريف التنمية ثم الملكة الفقهية، وذلك على التوالي:

أولا : التنمية:

التنمية مصدر نمّى الشيء ينمّيه قال ابن مالك في اللامية:

..... وفعّل اجعل له التفعيل حيث خلا

من لام اعتل للحاويه تفعلة ..... ألزم وللعاري منه ربما بذلا[١]

وفعْل نمّى يأتي لمعان عدة تعود كلها إلى معنى الزيادة والكثرة، منها :

• نمى الشيء ينميه إذا كثره وزاده، واسم الفاعل منمّ، والمفعول منمّى، ومنه قول الأعور الشني:

لقد علمت عميرة أن جاري ..... إذا ضن المنمي من عيال[٢]

• نمى إنتاجه: رفع معدله.

• نمى النار: أشبع وقودها.

• نمى الأمر: طوره، ومنه تنمية العلاقات بين البلدين.

• نمّى ذاكرته: أنعشها وقواها، ومنه قولهم :"التمارين البدنية تنمي الجسم"[٣].

والتنمية في الاصطلاح : تكاد توافق المعنى اللغوي، فهي تعني الترقية والتطوير والتقوية ومضاعفة القدرات، وهذا تقريبا هو معناها اللغوي.

ثانيا : الملكة الفقهية:

الملكة: ملك يملك ملكاً وملكوتاً وملكة: إذا قوي في الشيء. والملكة بمعنى الملك، ومن ذلك قوله تعالى: {قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَن تَشَاءُ وَتَنزِعُ الْمُلْكَ مِمَّن تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَاءُ}[٤] ، وقوله جل شأنه : {مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ}[٥].

---

(١) «فتح الأقفال وحل الإشكال بشرح لامية الأفعال المشهور بالشرح الكبير» (ص١٩٣).

(٢) لسان العرب (١٥/ ٣٤١).

(٣) معجم اللغة العربية المعاصرة (٣/ ٢٢٨٩).

(٤) [آل عمران:٢٦].

(٥) [الفاتحة:٤].

والملكة في الاصطلاح: صفة راسخة في النفس تكتسب عن طريق التكرار والتذكار .

والفقهية : نسبة إلى الفقه، والفقه هو : "العلم بالأحكام الشرعية العملية المكتسب من الأدلة التفصيلية" .

شرح التعريف :

فقولنا : العلم، العلم في تعريفه بحث طويل ليس المقام مقام ذكره، ولعل الأقرب إلى الصواب أنه يتعرف، وأن الراجح في تعريفه أنه: حُكْمُ الذِّهْنِ الْجَازِمُ الْمُطَابِقُ لِمُوجِبٍ(١).

وقولنا : لأحكام: أي : النسب التامة التي هي ثبوت أمر لآخر إيجابًا أو سلبًا، احترازًا على العلم بالذوات والصفات والأفعال وعن النسبة التقييدية. وقولنا : "الشرعية " أي: المأخوذة من الشرع تصريحًا واستنباطًا احترازًا عن الأحكام العقلية والحسية والاصطلاحية كالعلم بأن الواحد نصف الاثنين، وأن النار محرقة، وأن الفاعل مرفوع، وإن كان الحاكم في الحقيقة في الأخيرين إنما هو العقل على المشهور، ولكن بواسطة الحس والاصطلاح.

وقولنا: "العملية" أي: المتعلقة بكيفية عمل قلبي كالعلم بوجوب النية في الوضوء وبدني كالعلم بسنية الوتر فيشمل العمل عمل غير المكلف؛ لأن الفقه يبحث عن أفعال غير المكلف فالعلم بها من الفقه. وخرج "بالعملية" الأحكام الشرعية الاعتقادية أي: المتعلقة بحصول العلم في القلب كالعلم بأن الله تعالى واحد، وأنه يرى في الآخرة، فعلمك بوجوب اعتقاد أن الله واحد فقه، وعلمك أن الله واحد ليس من الفقه، بل هو من علم الكلام، فالمتكلم يثبت الوحدة، والفقيه يثبت وجوبها.

---

(١) حاشية العطار على شرح الجلال المحلي على جمع الجوامع (١/ ٢٠٦).

وقولنا : "المكتسب" يخرج علمه تعالى لتعاليه عن الاكتساب والضرورة، وعلم كل نبي وملك ، إذ هو ضروري حاصل مع العلم بالأدلة لا مكتسب عنها.

وقولنا :"التفصيلية" يخرج علم المقلد فإنه مكتسب من دليل إجمالي لأنه فتوى مجتهد وفتواه حكم الله في حقه[1].

والملكة الفقهية : صناعة الفقه وحِرفته وإتقانه حفظاً وفهماً وتطبيقاً وتقويماً ونقداً وإبداعاً ، يقول صاحب المراقي :

..... والعلم بالصلاح فيما قد ذهب

فالمَلَكَة إذن تحصيل المهارة والتذوّق، والحذق في العلم والتّفنّن فيه، والاستيلاء عليه، وإنما يحصل ذلك بالإحاطة بمبادئه وقواعده والوقوف على مسائله واستنباط فروعه من أصوله.

وما لم تحصل هذه الملكة لم يكن الحذق في ذلك الفنّ المتناول حاصلا. وهذه الملكة هي في غير الفهم والوعي[2].

والخلاصة أن الملكة الفقهية هي الاستنتاج والاستنباط والانتقال من الدال إلى المدلول.

**

(١) نشر البنود على مراقي السعود (١/ ٢٠).

(٢) تاريخ ابن خلدون (١/ ٥٤٣).

المبحث الثاني

المتون العلمية أهميتها وأثرها في الملكة الفقهية

المطلب الأول : أهمية المتون العلمية:

لا يخفى على طالب العلم عموما ودارس العلوم الشرعية خصوصا ما للمتون العليمة من أهمية كبيرة ، وتتجلى أهميتها في ما يلي :

١- جمعها لمسائل الفن الأساسية بعبارة سهلة واضحة موجزة.

٢- بقاء المعلومات في الذهن، ويظهر ذلك جليا عند فَقْدِ الكتاب، أو فَقْدِ الإضاءة ليلًا، أو فقد البصر، وكنت قد قرأت في بعض المذاكرات أن العلامة سيد عبد الله بن الحاج إبراهيم العلوي الشنقيطي صاحب منظومة المراقي لمّا التقى بالشيخ العلامة محمد بن الحسن البناني المغربي قال عنه: كنت شيخه بالليل وكان شيخي بالنهار، ولعله يقصد بذلك أنه كان أحفظ من البناني، مع ما للبناني من سعة اطلاع وبحث وتدقيق وتحقيق لمسائل العلم.

٣- تجعلك واثقًا بكلامك في مجلس المناظرة والمدارسة، فيسلم لك المؤالف والمخالف!

٤- المتون لطالب العلم كالأساس لبناء الدار ، فمن درس العلم بدون متون ، كمن بنى دارا بدون أساس ، سرعان ما ينسى ما قرأ ، ولذلك نجد حفّاظ المتون يبقى معهم العلم بعد سنوات طويلة ، في حين أن طالب العلم الذي لا يهتم بحفظ المتون ، لا يلبث أن ينسى ما قرأ.

٥- حافظ المتون يقدم على غيره في المجالس وتظهر ميزته على أقرانه؛ لذلك قال صاحب الرحبية : فاحفظ فكل حافظ إمام[١]، وقديما قيل : من حفظ المتون حاز الفنون.

---

(١) «متن الرحبية = بغيه الباحث عن جمل الموارث» (ص٤).

٦- المتون وسيلة الإبداع والنبوغ في العلم ؛لذلك قال الحافظ ابن حجر في مقدمة بلوغ المرام: "أما بعد: فهذا مختصر يشتمل على أصول الأدلة الحديثية للأحكام الشرعية، حررته تحريرًا بالغًا؛ ليصير من يحفظه من بين أقرانه نابغًا[1]"، ولعل السبب في ذلك أن المتون تجعل صاحبها ممتلئا علما؛ والإبداع ثمرة الامتلاء .

حفظ المتون يعين على استحضار المعلومات وضبطها وإتقانها مع ما يُثمره الحفظ من تقوية الذاكرة، وتنمية الذكاء!

حفظ المتون يختصر عليك أعمارًا بَذَلَها علماء قبلك حتى أتوك بالزبدة والخلاصة التي تحتاج أنت إلى أضعاف أضعاف عمرك حتى تُحصِّلها وحدك!

المطلب الثاني : أثرها في تنمية الملكة الفقهية:

إن الغرض من تأليف المتون والمختصرات ، وحفظ طلبة العلم لها هو جمع مسائل الفن الأساسية بعبارة سهلة واضحة موجزة. لذلك كانت المتون بمثابة تشجيرات العلوم والمخطَّطات التوضيحية لها، فالمتون تجمع حقائق العلم في ورقات يسهل حفظها، ويسهل استحضارها في الدروس، والمناسبات

فالذي يحفظ المتن ويفهم ما فيه من معانٍ، يكون حافظًا لذلك الفن، مستحضرًا لمسائله وأدلته في أي وقت، من غير حاجة إلى الرجوع إلى الكتاب.

لكن مع كل هذا يمكن أن نقول إن حفظ المتون معين على امتلاك الملكة العلمية ، وليس هو امتلاك الملكة ،ل من كانت عنايته بالحفظ أكثر من عنايته بتحصيل الملكة الفقهية ، لا يحصل على طائل من تلك الملكة ، ومن توهم أن الملكة الفقهية هي حفظ المتون فقد أخطأ وجاوز الصواب .

---

(١) «بلوغ المرام من أدلة الأحكام، ت الزهيري» (ص٣).

إن الملكة هي الاستخراج والاستنتاج والاستنباط وسرعة الانتقال من الدال إلى المدلول كما تقدم في المبحث الأول من هذا البحث، ومع هذا كله نقر بأن حفظ المتون غاية من كان العلم همته، والملكة مطلوبة ومرغوبة، وذلك أن حفظ المتون له أثر مهم على تحصيل الملكة الفقهية، وقد عدَّه العلماء من عوامل امتلاك الملكة الفقهية ، وهذه العوامل هي :

١- الأخذ عن العلماء الراسخين" : فمن أسباب النبوغ في العلم والإبداع فيه والتفنن وامتلاك ملكته أخذه عن العلماء الراسخين ، يقول الشاطبي: "من أنفع طرق العلم الموصلة إلى عناية التحقيق به أخذه عن أهله المحققين به على الكمال والتمام"(١).

[وَقَالَ ابْنُ مَسْعُودٍ: «لَا يَزَالُ النَّاسُ صَالِحِينَ مُتَمَاسِكِينَ مَا أَتَاهُمُ الْعِلْمُ مِنْ أَصْحَابِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَمِنْ أَكَابِرِهِمْ، فَإِذَا أَتَاهُمْ مِنْ أَصَاغِرِهِمْ، هَلَكُوا». وَقَالَ سُلَيْمَانُ: لَا يَزَالُ النَّاسُ بِخَيْرٍ مَا بَقِيَ الأَوَّلُ حَتَّى يَتَعَلَّمَ الآخِرُ، فَإِذَا هَلَكَ الأَوَّلُ قَبْلَ أَنْ يَتَعَلَّمَ الآخِرُ هَلَكَ النَّاسُ](٢).

٢- تنويع المشايخ والأخذ عنهم مشافهة : إن من يريد تنمية الملكة الفقهية عليه أن ينوع المشايخ ، ويأخذ عنهم مشافهة ، يقول ابن خلدون: "إلّا أنّ حصول الملكات عن المباشرة والتّلقين أشدّ استحكاما وأقوى رسوخا، فعلى كثرة الشيوخ يكون حصول الملكات ورسوخها"(٣) . وقال السختياني: "إنك لا تعرف خطأ معلمك حتى تجالس غيره(٤)"، وقديما قيل: "العلم من أفواه الرجال لا من بطون الكتب".

---

(١) الموافقات (١/ ١٣٩).

(٢) شرح السنة للبغوي (١/ ٣١٧).

(٣) تاريخ ابن خلدون (١/ ٧٤٥).

(٤) جامع بيان العلم وفضله (١/ ٤١٤).

٣- العناية بعلوم الآلة ، وهي معرفة العربية وعلومها من نحو وصرف وعروض وبلاغة وأدب ، ومفردات ، ولا يخلو واحد من هذه إلا وفيه متون تجمع مسائله وشوارده ، ولذا قال الشافعي : (أصحاب العربية جنّ الإنس يبصرون ما لا يبصر غيرهم)[١]. وقال الجرمي: أنا منذ ثلاثين سنة أفتي الناس في الفقه من كتاب سيبويه، فقيل له: وكيف ذاك؟ قال: أنا رجل مكثر من الحديث، وكتاب سيبويه يعلمني القياس، وأنا أقيس الحديث، وأفتي به[٢].

٤- معرفة قواعد علوم الحديث وقواعد التفسير.

٥- التفقه على مذهب معين، مع حفظ أصوله وقواعده، وفهم مقاصد الشريعة التي هي روح الفقه.

٦- ومن عوامل امتلاك الملكة الفقهية معرفة فقه الواقع ، فالفقيه الذي لا يعرف الواقع لا يمكن أن يمتلك الملكة الفقهية، ولذلك من شروط الفتوى أن يفهم السؤال فهما تاما لأن الحكم على الشيء فرع تصوره[٣].

٧- ومما يعين على امتلاك الملكة الفقهية استحضار مسائل وقواعد وأصول الفن، وإن مما يعين على ذلك حفظ المتون وتشجيرها والمناظرة فيها .

**

(١) مناقب الشافعي للبيهقي (٢/ ٥٣).

(٢) معجم الأدباء = إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب (٤/ ١٤٤٣) ، طبقات النحويين واللغويين (ص: ٧٥).

(٣) «شرح الكوكب المنير = شرح مختصر التحرير» (١/ ٥٠).

المبحث الثالث

رؤية تطويرية في التعاطي مع المتون العلمية

المطلب الأول : واقع المتون العلمية في عصرنا:

قبل الولوج في الرؤية التطويرية للمتون العلمية يجدر بنا أن نعرض واقع المتون اليوم.

لذا سنتناول في هذا المطلب :

* واقعها في المراحل المدرسية في العالم الإسلامي.

* واقعها في الجامعات الإسلامية.

* انحصارها في المحاظر وحلقات المساجد وبعض المعاهد الدينية المتمسكة بالتعليم العتيق.

أولا : واقع المتون العلمية في المراحل المدرسية في العالم الإسلامي:

إن الحديث عن واقع المتون العلمية في مدارسنا اليوم مأساوي وخطير على التحصيل العلمي للطالب ، ذلك أنك لا تجد اهتماما بهذه المتون في مدارسنا اليوم لا من قبل الطالب ولا من قبل المعلم ولا من قبل الدولة ، بل مفردات المنهج المقررة في مدارسنا مأخوذة من الكتاب المدرسي، وهو كتاب مأخوذ من مراجع ميسرة ومبسطة ، وبعيدة كل البعد عن مأخذ العلوم (المتون وشروحها وحواشيها)، ومع ذلك فهي مفردات هزيلة لا تسمن ولا تغني ؛ فلا تنمّي ملكة ولا تبني طالبا ولا تخرّج عالما.

ثانيا : واقعها في الجامعات الإسلامية:

إن واقع المتون العلمية في غالب الجامعات الإسلامية لا يبعد عن واقعها في المدارس، فهذه الجامعات وإن كانت محط أنظار طلاب العلوم الشرعية وقبلتهم إلا

أن اهتمامها بتحصيل المتون الشرعية اهتمام ضئيل لا يذكر، فمقررات هذه الجامعات وإن كانت ذات صلة وثيقة بمضمون المتون الشرعية إلا أنها لا تربط الطالب بالمتون ، ولا بشراحها وحواشيها ، وعليه فهي لا تبتعد كثيرا عن فكرة مقرر المنهج المدرسي ، وإن كان هناك من خلاف بينهما فهو في طريقة تناول المسائل لا أكثر.

ثالثا : انحصارها في غير واضحة لي وحلقات المساجد وبعض المعاهد الدينية المتمسكة بالتعليم العتيق:

إن المتون الشرعية رغم أهميتها في التحصيل العلمي والملكة العلمية إلا أنها تكاد تنحصر في المحاظر العلمية وحلقات المساجد وبعض المعاهد والمدارس الدينية المتمسكة بالتعليم العتيق، كالمعاهد الدينية الأزهرية، والمعاهد الدينية في موريتانيا، وبعض المدراس والمعاهد المغربية المتمسكة بالتعليم العتيق، بالإضافة إلى الرافد الأساس لهذه المتون وهو المحاظر الموريتانية وحلقات المشايخ في المساجد والبيوت في العالم الإسلامي.

المطلب الثاني : الرؤية التطويرية للمتون الشرعية:

إن الحديث عن رؤية تطويرية للتعاطي مع المتون يجرنا إلى الحديث عن طريقة تدريس المتون اليوم.

إن المتون العلمية رغم أهميتها للتحصيل العلمي والملكة العلمية فإن طريقة تدريسها اليوم لا تزال طريقة تقليدية شفوية، وهي عبارة عن أن يقرأ الطالب المتن ويبدأ الشيخ يلقنه المعنى، أو يكتب الشيخ المتن على السبورة، ويبدأ بفك عبارة المصنف، ثم يبدأ في شرح المعنى الإجمالي، وهذه الطريقة هي المتبعة في معظم العالم الإسلامي.

وكان مشايخنا في شنقيط يقولون إن الطريقة المثلى تمر بخمس مراحل :

١- أن يكتب الطالب الدرس في اللوح.

٢- أن يصحح المتن على الشيخ.

٣- ان يحفظ المتن قبل أن يدرسه على الشيخ.

٤- أن يشرحه على شيخ متقن أو أكثر من شيخ.

٥- أن يدرّسه لغيره من طلبة العلم.

وقد جمع العلامة محمد فال ولد متالي هذه الطريقة في بيتين فقال:

كَتْبٌ إجازة وحفظ الرسم ..... قراءة تدريس أَخْذُ العلم

ومن يقدم رتبةً عن المحل ..... من المراتب المرام لم ينل

لكن مما لا شك فيه أن هناك رؤية تطويرية لتدريس المتون، وهي بإذن الله إذا ما طبقت تجعل الطالب أكثر استيعابا وأقرب اكتسابا للملكة العلمية .

وتتلخص هذه الرؤية – حسب وجهة نظري- في النقاط التالية:

١- أن يبدأ الطالب التعامل مع المتون من المراحل المتقدمة قبل الجامعة.

٢- أن تعاد صياغة المتون بلغة أسهل وأسلوب مناسب مع الوقت والبيئات حتى تتلاءم مع العصر ، ولا بأس أن يتم حذف ما فيها من فقه لا يمت بصلة للواقع كمسائل الرق.

٣- أن يركّز في التمثيل والمسائل على قضايا العصر ومستجدات هذا الزمان.

٤- أن تبسط الشروح بما يناسب أحوال الطلبة اليوم .

٥- أن يكتفى في كل علم بمتن واحد ويكون هو الأجمع الأسهل.

٦- أن تخلو المتون من التلغيز ونحو ذلك.

٧- أن يقسم المتن إلى دروس وكل درس تصحبه تشجيرات لمسائله وتدريبات عليه.

٨- مراعاة المناسبة بين عمر الطالب ودرجة المتن، لأن الحفظ أشق على الكبير فيبحث له عًما يناسبه من المتن الأسهل، وذلك بتصنيف المتون بحسب الطلاب أو المراحل ، ويمكن أن تصنف المتون إلى ثلاث مراحل :

- **مرحلة الغرس أو التأسيس:** يدرس فيها الطالب علوم الآلة من نحو وصرف وأدب بادئا بالأصغر قبل الأكبر.

- **مرحلة التخصص:** يدرس فيها الطالب متون الفقه والأصول والقواعد دراسة متعمقة، بحيث يحفظ مسائل كل متن حفظا متقنا.

- **مرحلة الإثراء:** يطالع فيها العلوم شتى وينهل منها بعد أن أصبح متمكنا من علوم الآلة والفقه والأصول والقواعد.

**

الخاتمة

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات. هنا انتهى ما رمته من تدوين هذا البحث، وأسجل ههنا النتائج التي توصلت إليها:

١- المتون العلمية لها أهمية كبيرة في تكوين الملكة الفقهية ، لكن حفظها لا يعني امتلاك تلك الملكة.

٢- الملكة صناعة العلم وحِرفته وإتقانه حفظاً وفهماً وتطبيقاً وتقويماً ونقداً وإبداعاً

٣- من أهم أسباب امتلاك الملكة الفقهية : الأخذ عن الراسخين في العلم بالإضافة إلى حفظ المتون العلمية وفهمها واستيعاب مسائلها وتشجيرها والمناظرة فيها.

٤- انحصار المتون في المحاظر وحلقات المساجد ، وبعض المدارس والمعاهد المتمسكة بالتعليم العتيق.

٥- يرى الباحث ضرورة إعادة صياغة المتون بلغة أسهل وأسلوب مناسب مع الوقت والبيئات حتى تتلاءم مع العصر ، ولا بأس أن يتم حذف ما فيها من فقه لا يمت بصلة للواقع كمسائل الرق.

٦- أن يركّز في التمثيل والمسائل على قضايا العصر ومستجدات هذا الزمان.

٧- أن تبسط الشروح بما يناسب أحوال الطلبة اليوم .

٨- أن تخلو المتون من التلغيز ونحو ذلك.

٩- أن يقسم المتن إلى دروس وكل درس تصحبه تشجيرات لمسائله وتدريبات عليه.

فهرس المراجع والمصادر

أولا: القرآن الكريم

ثانيا : كتب الحديث :

- بلوغ المرام من أدلة الأحكام ، المؤلف: أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني (المتوفى: ٨٥٢هـ) ، تحقيق وتخريج وتعليق: سمير بن أمين الزهري ، الناشر: دار الفلق – الرياض، الطبعة: السابعة، ١٤٢٤ هـ.
- تاريخ أصبهان = أخبار رواة ومحدثي أصبهان ، المؤلف: أبو نعيم أحمد بن عبد الله بن أحمد بن إسحاق بن موسى بن مهران الأصبهاني (المتوفى: ٤٣٠هـ) ، المحقق: سيد كسروي حسن، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت.
- تقريب التهذيب ، أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني (المتوفى: ٨٥٢هـ المحقق: محمد عوامة ، الناشر: دار الرشيد – سوريا ، الطبعة: الأولى، ١٤٠٦ – ١٩٨٦.
- شرح السنة ، المؤلف: محيي السنة، أبو محمد الحسين بن مسعود بن محمد بن الفراء البغوي الشافعي (المتوفى: ٥١٦هـ) ، تحقيق: شعيب الأرنؤوط–محمد زهير الشاويش ، الناشر: المكتب الإسلامي – دمشق، بيروت ، الطبعة: الثانية، ١٤٠٣هـ – ١٩٨٣م .
- مسند الإمام أحمد بن حنبل ، المؤلف: أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني (المتوفى: ٢٤١هـ) ، المحقق: أحمد محمد شاكر، الناشر: دار الحديث – القاهرة. الطبعة: الأولى، ١٤١٦ هـ – ١٩٩٥ .

ثالثا : كتب أخرى:

- جامع بيان العلم وفضله ، المؤلف: أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر بن عاصم النمري القرطبي (المتوفى: ٤٦٣هـ) ، تحقيق: أبو الأشبال

الزهيري ، الناشر: دار ابن الجوزي، المملكة العربية السعودية ، الطبعة: الأولى، ١٤١٤هـ - ١٩٩٤م .

- حاشية العطار على شرح الجلال المحلي على جمع الجوامع ، المؤلف: حسن ابن محمد بن محمود العطار الشافعي (المتوفى: ١٢٥٠هـ) ، الناشر: دار الكتب العلمية ، بدون طبعة وبدون تاريخ .

- ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر ، المؤلف: عبد الرحمن بن محمد بن محمد، ابن خلدون أبو زيد، ولي الدين الحضرمي الإشبيلي (المتوفى: ٨٠٨هـ) ، المحقق: خليل شحادة ، الناشر: دار الفكر، بيروت ، الطبعة: الثانية، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م.

- طبقات النحويين واللغويين (سلسلة ذخائر العرب ٥٠) ، المؤلف: محمد بن الحسن بن عبيد الله بن مذحج الزبيدي الأندلسي الإشبيلي، أبو بكر (المتوفى: ٣٧٩هـ) ، المحقق: محمد أبو الفضل إبراهيم ، الطبعة: الثانية ، الناشر: دار المعارف .

- لسان العرب ، المؤلف: محمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين بن منظور الأنصاري الرويفعى الإفريقى (المتوفى: ٧١١هـ) ، الناشر: دار صادر - بيروت ،الطبعة: الثالثة - ١٤١٤هـ.

- الموافقات ، المؤلف: إبراهيم بن موسى بن محمد اللخمي الغرناطي الشهير بالشاطبي (المتوفى: ٧٩٠هـ) ، المحقق: أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان، الناشر: دار ابن عفان ، الطبعة الأولى ١٤١٧هـ/ ١٩٩٧م.

- مناقب الشافعي للبيهقي ، المؤلف: أبو بكر أحمد بن الحسين البيهقي (٣٨٤ - ٤٥٨ هـ) المحقق: السيد أحمد صقر ، الناشر: مكتبة دار التراث - القاهرة، الطبعة: الأولى، ١٣٩٠ هـ - ١٩٧٠ م .

- متن الرحبية = بغيه الباحث عن جمل الموارث ، المؤلف: موفق الدين أبو عبد الله – توفي ٥٧٩ سنة الناشر: دار المطبوعات الحديثة ، الطبعة: ١٤٠٦/١/٢١هـ .
- معجم اللغة العربية المعاصرة ، المؤلف: د أحمد مختار عبد الحميد عمر (المتوفى: ١٤٢٤هـ) بمساعدة فريق عمل ، الناشر: عالم الكتب ، الطبعة: الأولى، ١٤٢٩ هـ – ٢٠٠٨ م .
- معجم مقاييس اللغة ، المؤلف: أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، أبو الحسين (المتوفى: ٣٩٥هـ) ، المحقق: عبد السلام محمد هارون ، الناشر: دار الفكر ، عام النشر: ١٣٩٩هـ – ١٩٧٩م.
- معجم الأدباء = إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب ، المؤلف: شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي الحموي (المتوفى: ٦٢٦هـ) ، المحقق: إحسان عباس ، الناشر: دار الغرب الإسلامي، بيروت ، الطبعة: الأولى، ١٤١٤هـ – ١٩٩٣ م .
- نشر البنود على مراقي السعود ، المؤلف: عبد الله بن إبراهيم العلوي الشنقيطي ،تقديم: الداي ولد سيدي بابا – أحمد رمزي ، الناشر: مطبعة فضالة بالمغرب .
- فتح الأقفال وحل الإشكال بشرح لامية الأفعال المشهور بالشرح الكبير، المؤلف: جمال الدين محمد بن عمر المعروف ببَحْرَق (٨٦٩ – ٩٣٠ هـ) ، المحقق: د. مصطفى النحاس .
- شرح الكوكب المنير = المختبر المبتكر شرح المختصر ، المؤلف: تقي الدين أبو البقاء محمد بن أحمد بن عبد العزيز بن علي الفتوحي المعروف بابن النجار الحنبلي (المتوفى: ٩٧٢ هـ) ، تحقيق: محمد الزحيلي ونزيه حماد .

* * *